وتتمةً لمنهجه يكون استصحاب السنة واستلهام إشارتها عند التفسير، يقول رحمه الله: «واعلم أنَّ مما التزمنا به في هذا الكتاب المبارك أنه إن كان للآية الكريمة مبين من القرآن غير واف بالمقصود من تمام البيان، فإننا نتمم البيان من السنة من حيث إنها تفسير للمبين»[1].

وهذه المبادئ التي جعلها المفسرون قواعد للتفسير، ليست هي الأخرى غريبة على الفكر اللغوي الحديث، عندما رأى الظاهراتيون أن «التجربة قصد يضفي على الشيء معنى» وأن هذا المعنى «يغلب أن يكون مشتقا من الثقافة والحياة الروحية للجماعة البشرية التي ينتمي إليها القائل».

وثمة اختلاف بين الفكرة الظاهراتية السابقة وبين ظروف النص القرآني، إذ يبحث هذا الاتجاه في التفكير اللغوي، نصوصًا بشرية، ورسائل لغوية موجهة بلغة إنسانية عادية، أو نصوصًا شعرية بشرية أيضًا لها خصائص مختلفة عن خصائص اللغة العربية التوصيلية.

أما بحث الدلالة القرآنية، فهو يبحث دلالة نص إلهي، جاء في لغة أدبية عالية (ولا نقول لغةً شعرية) والمتكلم فيه ليس فردًا، بل إلهًا، والمخاطب به ليس فردًا بل الجنس البشري أجمع.

وهذا الاختلاف يملي بعض الاختلافات في قواعد التحليل، لكن هذه الاختلافات لا تخلّ بمنهجية البحث، لأنها لا تخرج عن أن تكون مسلمات أخرى، يتضمنها السياق العام للفكر الإسلامي بما يحكمه من عقائد.

ويقول «كارل بهلر في كتابه نظرية اللغة إن جهات الدلالة هي القائل والمخاطب، ثم الحقائق التي يتعلق بذكرها الغرض، ويضاف إليها العلامة اللغوية التي تتوسط هذه الأطراف»[2].

وبالإضافة إلى هذا التحديد الظاهراتي لأطراف الكلام المحيطة بالعلامة اللغوية، يأتينا الفكر اللغوي لمدرسة لندن، التي عرفت بالمنهج السياقي في التحليل ليزودنا بتفاصيل عن السياق أكثر تحديدًا ووضوحًا من حيث الإجراءات والتطبيقات.

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٨.

(٢) لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي، ص٧١.